مركز حمورابي

حروب ونزاعات دولية ما تديك الدرب!

حروب ونزاعات دولية ما تديك الدرب! أين التفاؤل وجمال الحب والورود في العلاقات الدولية هنا يا ليبرال يا شفيف؟

محمد مكي الطاهر
كاتب وباحث سوداني

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

22 نيسان **2024**

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

جذور النظرية الليبرالية القديمة ترجع إلى زمن بعيد، وأخذت في تطورها الكبير مع القرن الثامن عشر والتاسع عشر. ركزت الليبرالية في حقل العلاقات الدولية على مفاهيم مثل السلام والتعاون الدولي والحرية الفردية والديمقراطية. ومن أهم روادها إيمانويل كانط وجون ستيوارت ميل وريتشارد كوبدن.. وقد انطلقت هذه النظرية من افتراض أساسي بأن الطبيعة البشرية تميل بشكل أساسي إلى السلام والتعاون، وأن الصراعات الدولية ناتجة عن انحرافات سياسية وعسكرية عن هذا الاتجاه الطبيعي. ومن ثم، فإن تعزيز الحرية الفردية والديمقراطية وتنمية التجارة والاقتصاد الحر يُعد السبيل الأمثل لتحقيق السلام العالمي.

في مواجهة الكثير من التحديات، ظهرت أشكال جديدة من الليبرالية في النصف الثاني من القرن العشرين، متمثلة في التجارية والجمهورية والسوسيولوجية والاعتمادية والمؤسسية والتعددية، وكل هذه الأشكال الجديدة لليبرالية تسمى الليبرالية الجديدة، وبشكل عام سعت وتسعى إلى تطوير وتحديث النظرية الليبرالية لكي تتماشى مع الوضع الدولي المتغير. ومن أهم رواد هذه النظرية الليبرالية الجديدة روبرت كيوهان وجوزيف ناي وفرانسيس فوكوياما.. ركزت هذه الليبرالية الحديثة في جانب العلاقات الدولية على مفاهيم مثل التفاعل والتبادل عبر الحدود الوطنية، والمؤسسات الدولية والإقليمية، والعولمة الاقتصادية والثقافية. كما أكدت على أهمية المصالح المتبادلة والتكامل والتعاون بين الدول والجهات الفاعلة غير الحكومية. وبذلك حاولت هذه النظرية أن تقدم تفسيرات أكثر واقعية للصراعات والتعاون في النظام الدولي الحديث.

شهد الواقع الدولي وواقع العلاقات الدولية الكثير من الصراعات والحروب في القرنين الماضيين - هذا إذا لم نبدأ من تاريخ قديم للواقع الدولي وواقع العلاقات الدولية. كان واقع القرنين الماضيين المليء بالحروب والنزاعات الدولية، دفع الكثير من المفكرين والمشتغلين في هذا الحقل من الليبراليين والمدارس الأخرى، إلى التشكيك في قدرة الليبرالية القديمة على تفسير هذه الحروب والنزاعات. فالحربان العالميتان والحرب الباردة وعدد كبير من النزاعات الإقليمية والمحلية كانت تحديا كبيرا لنظرية السلام والتعاون الليبرالية. هذا بجانب ظهور القومية والفاشية والشيوعية كأيديولوجيات وسياسات منافسة للليبرالية القديمة، كان مؤشرًا كبيرا على محدودية قدرتها على تفسير واقع التطورات الدولية والحروب الدولية.

فيما يتعلق بالليبرالية الجديدة عموما في العلاقات الدولية، كانت وما زالت تواجه تحديات كبيرة في فهم وتفسير العديد من الظواهر الدولية المعاصرة، مثل صعود القوى العظمى الجديدة كالصين وروسيا، وتراجع الليبرالية الديمقراطية في بعض الدول، والاضطرابات السياسية والاقتصادية العالمية. كما أن تفسيرها للعولمة واندماج النظم الدولية، وفي فهم وتفسير الحروب والنزاعات الدولية والحروب الهجينة منها وحروب الوكالة الجديدة أيضا التي نعيشها اليوم في المنطقة.

حروب ونزاعات دولية ما تديك الدرب! أين التفاؤل يا شفيف؟

في حقل العلاقات الدولية ليس هناك من شك أن الحروب الدولية (التي تعرف في أكثر الحالات على أنها معارك حربية بين طرفين دوليين، أعضاء في النظام الدولي يروح ضحية الأعمال العسكرية فيها ما يزيد عن الألف قتيل في العام) تعتبر أهم الظواهر الاجتماعية والانسانية، وأكثرها نفوذاً وإلحاحاً، فهي ظاهرة مثيرة للجدل بطبعها. سواء من ناحية محاولة تفسير أسباب اندلاعها وعواقبها ونتائجها.إن أغلب الجدل الأكاديمي بين المدارس الفكرية في حقل العلاقات الدولية طوال القرن العشرين (وربما عبر التاريخ)، كان يدور حول هذه الظاهرة، وحول زيادة احتمالية وتيرة وقوعها والقائلين بتراجعها وندرة حدوثها من المثاليين والليبراليين. بداية من عالم السياسة البريطاني إدوارد كارفي كتابه "أزمة العشرون عاما وجدله النظري مع أتباع المدرسة المثالية والماركسية هو "دراسة الأوضاع والأزمات الدولية في فترة ما بين الحربين العالميتين 1939-1945" . وصولا إلى التيارات الليبرالية الجديدة اليوم التي تزعم تراجع الحروب وندرة حدوثها إلا في الدول غير الديمقراطية ونظمها السياسية والداخلية فاشلة.

حجم حروب ما بعد 11 سبتمبر فقط!

ما نريد قوله أولا بخصوص هذه النظرية وعلاقتها مع الغرب حتى لا يخدعنا الواقع المفارق للنظرية في جانب، ومن الجانب الثاني الطاغي والمطور لها في نفس الوقت عبر التاريخ. بالتالي من غير المُستغرَب أن يؤثِر الغرب النظرية الليبرالية، التي تُعدّ النقيض التام للواقعية. ومع ذلك، تتصرّف الولايات المتحدة في معظم الحالات طبقاً لإملاءات الواقعية، وإن حاولت إخفاء حقيقة تصرّفاتها بخطاب أخلاقوي. فخلال الحرب العالمية الثانية، تحالفت هي مع الاتحاد السوفياتي بقيادة ستالين.

وقد دعمت لاحقاً مجموعة من أقسى الحكام الاستبداديين على. غرار: تشانغ كاي-شيك في الصين، ومحمد رضا بهلوي في إيران، وري سينغ مان في كوريا الجنوبية، وموبوتو سيسي سيكو في زائير، وأناستاسيو سوموزا في نيكاراغوا، وأوغستو بينوشيه في تشيلي.

وجاءت أحداث 11 سبتمبر (أيلول) 2001، لتأكد الدرس السابق، ولتأكد فشل الليبرالية في فهم وتفسير العلاقات الدولية والحروب الدولية. أدت هذه الحرب بحسب المسؤول عن قسم الوقاية من الإرهاب في مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في فيينا، أليكس بي شميد، إلى نتائج كارثية وتدلل على عدم الحالة الطبيعية الخيرة في العلاقات الدولية والتفاؤل الذي تزعمه الليبرالية. الكثير من عمليات مكافحة الإرهاب الأميركية أدت لنتائج كارثية. بلغ تعداد القاعدة نحو (400) مقاتل فقط في أفغانستان عندما قتل (19) منهم ما يقرب من (3000) مدني من أكثر من ستين دولة في 11 سبتمبر (أيلول) 2001، بالولايات المتحدة. يوجد اليوم بجانب القاعدة، حوالي (100) جماعة إسلامية متطرفة أخرى ناشطة في ما يقرب من (70) دولة حول العالم مما أسفر عن مقتل أكثر من (120) ألف شخص في السنوات القليلة الماضية وحدها. ويقدر عدد مقاتلي القاعدة والجماعات التابعة لها الآن بنحو (40) ألف مقاتل. إجمالاً، هناك حوالي (230.000) جهادي نشط حول العالم.

نفذت الولايات المتحدة وحدها مهمات عسكرية لمكافحة الإرهاب في (80) دولة بتكلفة تقدر بنحو (2) تريليون دولار أميركي.

الثمن الذي دفعه المدنيون في "الحرب العالمية على الإرهاب": قتل ما يقدر بحوالي (43.074) مدنيًا في أفغانستان، وحوالي (23.924) في باكستان، وما بين (184.382) إلى (207.156) في العراق، وفي سوريا (49.591)، وفي اليمن (12.000)، إجمالاً ما بين: (335.745-312.971) مدنيًا، أي مائة ضعف عدد المدنيين الذين لقوا حتفهم في هجمات 11 سبتمبر (أيلول).

عدد أفراد القوات العسكرية وقوات الشرطة الوطنية في أفغانستان وباكستان والعراق وسوريا واليمن، الذين فقدوا حياتهم في "الحرب العالمية ضد الإرهاب" ما بين (335.745-173.073) رجلاً وامرأة في جميع أنحاء العالم. ومات ما بين (801.000-770.000) من البشر في حروب ما بعد 11 سبتمبر (أيلول) يشمل هذا التقدير الإجمالي عدد القتلى المدنيين: حوالي (312.000) أو أكثر - بالإضافة إلى قتلى الإرهابيين (أكثر من 250.000).

عام 2023 فقط!

رسمت النسخة الأخيرة من التقرير السنوي حول "مسح النزاعات المسلّحة حول العالم"، الذي يصدره المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية في لندن، "صورة قاتمة" فيما يخص اللجوء إلى العنف كحلّ لمشاكل جيوسياسيّة معقدة.

بلغ حجم النزاعات حول العالم في عام واحد(2023م) ما لم يبلغه في العقود الثلاثة الأخيرة، وفق تقرير حول النزاعات المسلّحة عبر العالم. ترى إيرينا ميا، الباحثة وعضو فريق التقرير، أن التعقيد الحالي للحروب الحالية يكمن في أنها غالباً ما تتميز بأن من أطرافها عدداً كبيراً من الجماعات المسلحة المتنوعة غير الحكومية، فضلاً عن التدخل الخارجي في شؤون البلدان.

وقد رصد معدّو التقرير 183 صراعاً مستمراً عبر العالم خلال عام 2023، وقدموا تحليلاً استراتيجياً لعوامل كلّ صراع على حدة وارتباطاته وآثاره في المستويات الداخلية والإقليمية والدولية. وفي جانب الإحصاء لتطور الصراعات عبر العالم، أورد: أن شدة الصراعات ازدادت عاماً تلو الآخر، مع زيادة في نسبة ضحايا هذه الحروب بنسبة 14%، فيما زادت الأحداث العنيفة بنسبة 28%. وأشار التقرير إلى أن العالم اليوم "تهيمن عليه الصراعات المعقّدة والعنف المسلّح في ظل تزايد عدد الفاعلين والدوافع المتشابكة والتأثيرات العالمية وتسارع وتيرة التغير المناخي"، في وقت يحذر فيه المحلّلون من أن بعض الزعماء أصبح ينظر إلى الحروب مرة أخرى بوصفها "أداة سياسيّة مفيدة". وينقل التقرير بيانات اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي تقول إن 459 تنظيماً مسلّحاً تثير أنشطتُها مخاوف إنسانية، ويعيش تحت سيطرتها الكاملة 195 مليون شخص.

كانت تلك الصراعات والحروب الدولية كثيرة في العام 2023م، ضمنها النزاع بين الصين وتايوان الذي لا يُعرف إلى أي مدى ستكون بكين مستعدة لتوسيعه في بحر جنوب الصين، خصوصاً أن المواجهة قد تكون بينها وبين الولايات المتحدة أيضاً. وشملت الصراعات والحروب دولاً في أمريكا الوسطى والجنوبية ضمن الحرب على عصابات المخدرات والعصابات الإجرامية، كما يحدث في المكسيك وكولومبيا وغيرهما، والحرب الروسية الأوكرانية. واتسع نطاق الحروب والصراعات لتشمل دولاً مثل سوريا والبرازيل وميانمار والعراق والصومال ونيجيريا وأفغانستان وجنوب السودان وإفريقيا الوسطى ومالي وقبرص وجنوب لبنان وغزة..

هذا العام!

نشرت مجموعة الأزمات الدولية تقريرا مطولا عن 10 صراعات تتعين مراقبتها خلال عام 2024. وقالت إن العام الجديد يبدأ بحروب مشتعلة في قطاع غزة والسودان وأوكرانيا، في حين تخفق الجهود الدبلوماسية لإنهاء الاقتتال في أرجاء العالم كافة. وبكل تأكيد الحروب التي نعاصرها اليوم، في غزة وروسيا وأوكرانيا والسودان والمواجهات الإقليمية التي بدأت تظهر بوادرها على العيان يوم أمس(13 أبريل الجاري) بين إيران وإسرائيل.. تبين تطورات كبيرة في مستقبل العلاقات الدولية والحروب الجديدة القادمة.

كل هذه الحروب الدولية وحجمها وحجم الأضرار التي نتجت وتنتج عنها كل يوم والأعداد الكبيرة للفصائل العسكرية والمرتزقة والشركات العسكرية والأمنية الخاصة فيها، والأعداد الكبيرة للمقاتلين تبين فشل الفهم والتفسير الليبرالي للعلاقات الدولية والحروب الدولية والحروب الهجينة وحروب الوكالة اليوم. فهذا الواقع الدولي لا يمكن بأي حال من الأحوال ولا يمكن لعاقل النظر إليه بالتفاؤلية الليبرالية في العلاقات الدولية، والإعتمادية والمؤسسية وإمكانياتها تجاه الحلول وإيقاف والحروب. ولا يمكن أيضا النظر لهذه الحروب وكأنها بين دول ديمقراطية في مقدمتها الغرب وبين دول مستبدة وغير ديمقراطية، تريد الأولى تحرير الثانية من دنس الإستبداد والدكتاتورية كما تزعم.

دائما تنظر الليبرالية إلى السلم كشيء طبيعي في البشر ومعاش اليوم ومثاله الحي في الديمقراطيات الغربية عكس الشر والحروب كشيء مصطنع ومثاله الحي في الدول المستبدة وما يتعلق بخلل النظم الداخلية لها ومؤسساتها الداخلية. بالتالي لا يمكن لدولة ديمقراطية خوض حرب، وهذا طبعا دون أن نتطرق من جديد وأكثر عن الحروب اليوم ومنذ زمن التي تخوضها دول الغرب التي تعتقد انها ديمقراطية، ضد الدول الأخرى التي تعتقد انها غير حليفة وتسبب خطر لها في أزمنة استراتيجيات الردع وستسبب خطر عليها في أزمنة استراتيجيات الوقاية التي ظلت تعمل بها دول الغرب منذ أحداث سبتمبر.

تعد هذه الحروب تعبيرا عن وضعية مختلة للنظام العالمي الرأسمالي الجديد اليوم وتصدعاته، ومركبة تتشابك بها عدة عوامل داخل هذا النظام، ويصعب جدا اختزالها في مجرد مشاكل داخلية لدول وحروب عادلة وحروب ديمقراطية تهدف إلى تحرير العالم من الإرهاب والاستبداد والدكتاتوريات.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية